١٧٣

قافية الهاء

وليس له فى المديح على قافية الواو شىء

قال يُهنِّئُ السَّلِيلَ بالعافية مِنْ عِلَّة :

فى الأول من الوافر ، والقافية متواتر .

١ ـ لِيَهْنِكَ يا سَلِيلُ فقَدْ هَنَتْنى ... بما عُوفِيتَ عافِيةٌ هَنِيَّهْ

٢ ـ يَطُولُ لكَ البَقَاءُ قَريرَ عَيْنٍ ... وتُصرَفُ عنكَ صَائِلةُ المَنِيَّهْ

٣ ـ أَرَى الآمالَ ضاحِكَةَ الثَّنَايا[1] ... تَبَسَّمُ عَنْ عَطايَاكَ السَّنِيَّهْ

٥ ـ ونُورُ الشَّمْسِ ما طَلَعَتْ تُبَاهى ... بنُور طُلُوعِ طَلْعَتِكَ البَهِيَّهْ

٦ ـ بنَيْتَ بَنِيَّةً فى المَجْدِ طالَتْ ... وطُلْتَ بطُول مَجْدِكَ فى البَنِيَّهْ

٧ ـ غَنِيتَ ببَذْل مالِكَ فى المَعَالى ... فنَفْسُكَ مِنْ إفادَتِها غَنِيَّهْ

٨ ـ جَنَى لى فِيكَ مِنْ ثَمراتِ مدْحى ... لِسَانُ الشُّكْرِ أَبياتاً جَنِيَّهْ

٩ ـ وقَدْ أَهدَيْتُها لكَ وهْىَ عندِى ... على الأَيَّامِ مِنْ أَزكَى هَدِيَّهْ[2]

---

(١) با : « إلينا » .

(٢) يلى هذا البيت بيت أخير ورد فى نسخة م من الصول وهو كما ورد :

تجـود بنيـة من غير مطل ... وخـير الجـود ما أنسى بنيـه

ولعلها « ما أمسى »

وقال يمدح يحيى بن عبد الله . وكتَبها إليه مع سَهْمٍ أخيه لِيصلَه . ويَسأَلَه فى أمره :

الثانى من الكامل ، والقافية متواتر .

١ - إحدَى بَنى بَكْر بن عَبْدِ مَنَاهِ بَيْنَ الكَثِيبِ الفرْدِ فالأَمْوَاهِ

١ - (ق) : لحَّنه بعضُهم فى قوله «مَنَاهِ» ، وقال اسم الصَّنم «مَنَاةُ». قال : اعلمْ أَنَّ هاءَ التأْنيثِ وهاءَ الضمير وهاءَ الوقف ، تحمل العربُ بعضَها على بعض لِتشابُهها ، والأَصلُ فى التأْنيث التاء ، بدلالة أَنها تكون حرف الإعراب وأَنها تثبت فى الإضافة إلى المكنىّ ، وفى التثنية ، وأَن كثيرًا من العرب يقفون عليها بالتاء ، فلمّا ثَبَتَتْ تاءً فى مُتَصرفاتها ، دَلَّ على أَنها تكون تاءً فى الأَصل ، وإنما أَبدلتْ هاءً فى الوقف فَصْلاً بين التاء فى الفعل إذا قلت ضربتُ ، وبين التاء فى الاسم ، وكانت هى أَولى بالإبدال ، لما يَلحقُها من التغيير فى اختلاف الحركات عليها ، ومن العرب مَن يجعلها فى الوَصْل هاءً فى الشعر ، على ذلك قوله :

* لمّا رأَى أَلاَّ دَعَهْ ولا شِبَعْ *

بالتسكين فيها تشبيهاً بهاء الوقف ، وجَعْلُها فى الوصل هاءً ، على التشبيه بهاء الإضمار ، وكما أَنَّ بعضهم سَكَّنَ هاءَ الضمير تشبيهاً بهاء الوقف ، على ذلك قُرِئَ قوله « ما تَوَلَّى » فسَكَّن ، وكما أَنَّ بعضهم أَثبتَ هاءَ الوقف فى الوصل تشبيهاً بهاء الضمير ، على ذلك قولُه تعالى : « فبهُدَاهُم اقتَدِه » لأَنَّ

هذه هاء الوقف . وإذا كان الأمرُ على ذلك ، فقول أبى تمام « عَبْدَ مَناهِ » ، على أنه أجراه فى الوصل مجراه فى الوقف ، فجعله هاءً ثم حركه كما حَرَّك فى قوله :

* يا مَرْحَباه بحمارٍ عَفْرَا *

وكأنَّ أبا تمام أراد أن يُرى أنه يهتدى لمثل هذه الأشياء التى تَقلّ وتَعزُّ .

(ع) : اختلف الناسُ فى رواية هذا البيت ، حَدَّثَ الحسنُ بن على الرافقىّ المعروف بالخالع ، أنه حضر مجلسَ أبى سعيدٍ السيرافىّ . فسأله : كيف تنشد « إحدى بنى بكر بن عَبْد مَنَاه » ؟ فقال الخالِعُ « مَناةِ » فى اللفظ بالتاء ، على غير التصريع . فقال أبو سعيد : مِن ها هُنا أخذتَ ؟ يعنى أنك أخذت هذه الفوائد من عندنا ، وكان الخالعُ يُحدّث هذا الحديث كالمفتخر به . ولذلك مَذْهبٌ ووجه ، لأنهم يحملونه على مثل قول الأوّل :

أفَبَعْدَ مقْتل مالكِ بن زُهَير تَرجو النساءُ عَوَاقِبَ الأَطهار؟!

و « مَنَاةُ » : تُمَدّ وتُقصر ، وقد قرأ بعضُ القرّاء « ومَناءَةَ الثالثةَ الأُخرى » بالمدّ . وحكى بعضهم أنَّه رأى قول الحارثىّ :

ألا هَلْ أَتَى التَّيْمَ بنَ عَبْدِ مَناءَةٍ على الشَّنِّ فيما بَيْننا ابن تَمِيم؟

بخط أبى عبيد القاسم بن سلاَّم ، على مدِّ « مَناءَة » . وإذا كان السيرافىّ يذهب إلى أنَّ البيتَ غيرُ مُصرَّع ، فالمدُّ أولى به من القَصْر ، لأنَّ البيتَ يخلص به من النقص . وبعضُ الناس يتعمّد الوقفَ على الهاء فى قول الطائى « بكر بن عَبْد مَناهْ » . ولو قال قائل إنه سمّاهم بنى عَبدِ مَنَاهْ بهاءٍ أصليَّة ، أخذه من نَاهَ يَنُوه إذا انتشر ذِكْرُه ، لكان ذلك وجهًا قويًّا ، وهو

أحسنُ ما يُحمل عليه البيتُ ، لأنَّ الشعراءَ يُسمح لهم بتغيير الأسماء إلى ما قاربها ، كقولهم فى ثابت ثَبات ، وفى جَمْش جَمُوش ، والذى بين مَناهْ ومَناةٍ مُتقارب أكثر من قُرْب «عبد الله» إلى «مَعْبَد» وقد يُغيِّر الإنسانُ اسمَه . ومن كلامهم القديم : مَنْ شاء أحدَثَ اسماً ، ولم يكن ذلك حتْماً . وقوله «إحدَى» فأنَّث ثم أضافَها إلى مُذكَّرين يحملُ على تغليب المذكَّر ، وإنما هذا الموضعُ يجب أن يُقال فيه «إحدى بنات» ويقوى التذكير أنَّ المرأة تُنسَب إلى آبائها من هؤلاء القوم ، والآباءُ مُذكَّرون ، وليس فى جواز ذلك امتراء ، ولكنْ يُذكر لأنَّ سائلاً قد يجوز أن يسأل عنه ، كأنه قال إحدى نساءِ بنى زيد مَناة ساكنةٌ بين هذين الموضعين .

٢ ـ أَلقِى النَّصِيفَ فأنتِ خاذِلَةُ المَهَا[1] أُمْنيَّةُ الْخَالِى ولَهْوُ اللاَّهى

٢ ـ أى ألقى خِمارَكِ ، واكتفى بمثانى شعرك . وجعَلها خاذلَةَ المَهَا على طَرْح التَّشبيه . لا يجوز غير ذلك ، لأنها لا مِدْحة لها بأن تكون بقرةً وحشيَّةً ، وإنما تُشبهها فى بعض الأشياء .

٣ ـ رَيَّا تُجَاذِبُ[2] خَصْرَهَا أَردَافُها وتَطِيبُ نَكْهَتُها على استِنْكَاهِ[3]

٣ ـ «النَّكْهَة» : أعلى الحَنَك ، ويقال نَكِهَ الرجلُ إذا أخرج نَفَسه من ذلك الموضع ، واستنكَهه غيرَه : إذا طلبَ منه ذلك وحَمَله عليه . أى هى رَيَّا الخَلْق ، وخَصْرُها دقيق ، وكَفَلُها عظيم ، فهو يُعانِدُ الخصرَ .

٤ ـ عَرَضَتْ لنَا يَوْمَ الحِمَى فى خُرَّدٍ كالسِّرْب حُوٌّ لِثاً ولُعْس شِفَاهِ

٤ ـ «اللِّثا» جمع لِثَةٍ وهى لحم الأسنان ، وجاءتْ منقوصةً ، وكأنَّ

(١) س : «الهوى» .
(٢) س : «يعانده» .
(٣) س : «بلا استنكاه» .

المحذوفَ منها ياء لأنها مأخوذةٌ من لِثا الشحرة ، وهو شيءٌ كالصمغ يكون فيه . وسُمِّيت اللِّثةُ لِثةً لأنَّ اللِّثا يكون نَدِيًّا ، واللِّثة لا تَعْدَمُ ريقاً ، ورُدَّتْ فى الجمع إلى الأصل .

٥ – بيضٍ يَجُولُ الْحُسْنُ فى وَجَنَاتها والمِلْحُ بينَ نَظَائِرٍ أَشْبَاهِ

٥ – « المِلْح » : الرَّضاع ، أى أنهن فى سنٍّ واحدةٍ ، فبعضُهنَّ قد رَضِع من لبن بعض[1] .

٦ – لَمْ تَجتمِعْ أَمثالُها فى مَوْطِنٍ لَوْلا صِفَاتٌ فى كِتَابِ اللهِ

٦ – فى النسخ : « البَاه » ، وفى بعضها « الله » ، والرواية باللام أشبه ، لأنه يدَّعى أنَّ صفات هؤلاء النساء كصفات الحُور العِين اللَّواتى ذُكِرَتْ فى القرآن ، وإنما عَدَل مَن عدلَ أن يروى « الباه » لأنَّ اسم الله يُكره فى هذه القصيدة[2] ، وأما « البَاه » فلغةٌ فى البَاءة ، وهو النِّكاح ، ويقال إنَّ فيها أربعَ لُغات : البَاءَةُ والبَاهةُ والباءُ والبَاه ، وقد وَضَعت الحُكماءُ كُتباً فى ذلك ، وما علمتُ أن فيها صفات للجمال بخط العبدىّ : قوله « لم تجتمع أمثالُها » جوابُ « لولا » قد تَقدَّمَ عليه ، وفى كتاب الباه : يُقال فَخِذُها من حاله ، وساقُها مِنْ صِفَتِه ، فكأنَّه قال تلك التى فى كتاب الباه ، لم يجتمع لأحدٍ غيرها .

٧ – ومُفَنَّـدٍ لَوَّامَةٍ نَهنَهتُهُ عَنْ مُغْلِظٍ لِعَذُولِهِ نَجَّاهِ

٨ – ومُؤَيِّدٍ[3] بى كَىْ أُفِيقَ وإنَّنى لأَصَمُّ عَنْ يَاهٍ وعَنْ يَهْيَاهِ

---

(١) وقال المرزوقى فى شرحه : يصف نساء حففن بحبيبته ، يقول : هن بيض ماء الحسن فى خلودهن ، والملح بين أفواههن وأسنانهن التى يشبه بعضها بعضاً ، فليس فيها شنع ولا ثمل ولا اختلاف نبتة يتردد ، وقد قيل الحسن فى الأنوف ، والملاحة فى الأفواه .

(٢) رواية الصول « فى كتاب ألباه » وكذلك الرواية فى بعض نسخ التبريزى ، وفى س : « فى الكتاب الناهى » وهى رواية القالى ، وقد أثبتنا رواية « كتاب الله » فى الأصل ، لأنا نرجح أن الرواية غيرت تفادياً لذكر الله كما يقول التبريزى .

(٣) س : « ومؤنب لى » .

٧ ، ٨ – « النَّجْهُ » أسوأُ الرَّد ، « وأَيَّه » بالرجل والفرس إذا صاحَ به ، وأَصلُ ذلك أن يقول ياهْ ياهْ ، قال الشاعر :

بيَاهٍ ويَهيَاهٍ دَعا بعدَ هَجْعةٍ دُعَاءَ الرُّوَيْعى ضلَّ بالليل صاحبُهْ

٩ – دَعْنى أُقِمْ أَوَدَ الشَّبَابِ بذِكْرها إنَّ السَّفَاهَ بها لَغَيْرُ سَفَاهِ

٩ – أى دعنى أتمتع بشبابى ، ولا تَسْفَه بها علىّ .

١٠ – فإذا انقَضتْ أَيَّامُ تَشْبِيع الصِّبَا أَظهَرْتُ تَوْبَةَ خاشِعٍ أَوَّاهِ

١١ – ومُعَاودٍ لِلبيدِ لا يَهفُو بهِ هافٍ ولا يَزهَاهُ فِيها زَاهِ

١٠ ، ١١ – « الأَوَّاهُ » : الكثير التأَوُّه من الخوف والحُزْن . « ومُعَاود » : يعنى نفسَه ، وقوله « لايَهْفُو به » : أى لا يَستَخِفُّه .

١٢ – مُهْدٍ لِأَلطافِ الثَّنَاءِ إلى فَتًى كالبَدْر لا صَلِف ولا تَيَّاهِ

١٣ – لِأَبِى الغَريبِ غَرَائباً[1] مِنْ مَدْحِه فى غير تَعْقِيدٍ ولا استِكرَاهِ

١٤ – مَنْ ماتَ مِنْ حَدَثِ الزَّمانِ فإنَّه يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بن عَبْدِ اللهِ

١٤ – الرواية الجيدة : « ما ماتَ من كرم الزَّمان فإنَّه »[2] .

١٥ – كالسَّيْفِ ليسَ بزُمَّلٍ شِهْدَارَةٍ يومًا ولا بغُضُبَّةٍ جَبَّـاهِ

١٥ – فى الأَصل « الشِّهْدارة » : الصَّخابُ لِأَصحابه . (ع) : « الشِّهدارة » : القصير ، ومَن روى « مِهْذَارةٍ » فهو من الهَذَيان ، أى كثرةِ الكلام « والغُضُبَّة » : الكثير الغَضَب ، « والجَبَّاه » الذى يَجْبَه الناسَ بالكلام الرَّدىء .

---

(١) س : « غرائب » – م : « غريبة » .

(٢) هى الرودية فى س .

١٦ – ومُهَفْهَفِ السَّاقِى قَريبِ جَنَى النَّدَى
عَفِّ النَّدِيم سَريعِ سَعْىِ الطاهى

١٦ – « الطَّاهى » : الطبَّاخ ، يصفه بسرعة القِرَى ، لأَنَّ ذلك ممّا يُحمد فى الرجل ، وإذا وُصفوا بتأخّر الطَّعام ، فإن ذلك عندهم من التناهى فى الذَّم ، يقولون قِرَاه عاتم ، أى لا يجىء إلا بعد ما يمضى عنك من الليل ، قال الشاعر :

أبالَكُم أَنَّ الجُدُودَ أَذِلَّةٌ وأَنَّ القِرَى عن واجبِ الضَّيْف عاتِمُ

١٧ – وأَغَرَّ يَلهُو بالمَكارمِ والوَغَى[1] إنَّ المكارمَ للكَريم مَلاهِ

١٧ – أى يلهو بالعَطاء ويُفَرّقه فى الحقوق وفى الحروب ، وهى مكارم

١٨ – يُمسى ويُصْبحُ عِرْضُه فى صَخْرَةٍ دَمِغَتْ شَوَاةَ العَائِبِ العَضَّاهِ

١٨ – « الشَّوَاة » : جلدة الرأس ، وتُستعمل فى جلد الجسد كلِّه . ولكنْ أكثرُ ما تُستعمل فى الهَامة ، قال الشاعر :

قالتْ قُتَيلَةُ مالَهُ قد جَلَّلَتْ شَيْباً شَوَاتُهْ؟!

« ودَمَغَتْ أى بلغت الدماغ » . « والعَضَّاه » من قولهم : عَضَهه بشرٌّ ، أى رماه به ، ويُقال حَيَّة عاضِهَةٌ إذا كانت قاتلةً ، وإنما أُخذ قولهم عَضَهَهُ بشرٌّ من العِضَاهِ التى لها شَوْكٌ ، أى أن هذا القائل يُصِيب غيرَه بلسانهِ ، كما تُصِيب العِضَاهُ بشوكها .

١٩ – قُلْ لِلعِدَاةِ الْحَاسِديهِ على العُلَى رَغْمًا لِآنُفِكُمْ بَنى الأَستَاهِ

---

(١) فى أصول التبريزى وفى رواية الصولى عن نسخة م : « بالمكارم والعلى » ، وأثبتنا رواية القالى فى س ، لأن شرح التبريزى يدل عليها ، حين قال فى الحقوق وفى الحروب . والرواية فيها : « بالعطايا والوغى » .

٢٠ ـ حَسَدٌ تَمَكَّنَ ذُلُّهُ مِنْ بُغْضِكمْ[١] فى أَعيُنٍ ومَعاطِسٍ وشِفَاهِ

٢٠ ـ أى تمكَّن حسدكم له فى أعينكم وأنوفكم ، فهو يلوح للناظرين ولا يخفى .

٢١ ـ هُوَ لِلوَفِىِّ[٢] العَهْدِ ظِلٌّ أَرَاكَةٍ ولِمُضْمِرِ الشَّنَآن شَوْكُ عضَاهِ

٢٢ ـ قَرْمٌ أَقَرَّ لَهُ الرِّجالُ بفَضْلِه طَوْعًا[٣] بلا قَهْرٍ ولا إكرَاهِ

٢٣ ـ عَذُبَ اسمُه بِفَمِى فَظَلَّ كَأَنَّهُ لِلرَّاح بالمَاءِ القَرَاح مُضَاهِ

٢٤ ـ لَوْ أَنَّه نَبْتٌ لَكانَتْ دُونَه قُضُبُ البَشَامِ اللُّدْن لِلأَفْوَاهِ

٢٤ ـ يقول : هذا الممدوح عَذُبَ اسمُه فى أفواه الرجال والنساء ، فهم يصفونه ويثنون عليه ، لأَن أفواهَهم تطيب بذكره ، إذ كان يَفضُل البَشَامَ من الشجر فى طِيب الرائحة وإزالة الحَبَر[٤] عن الثغر ، لأَن البَشَام يصقل به الثغور ، قال جرير :

أتذكرُ يومَ تَصْقُلُ عارضَيْها بعُودِ بَشَامةٍ ، سُقِىَ البَشَامُ!

٢٥ ـ كَمْ فَرْحةٍ أَهدَى وكَمْ مِنْ تَرْحَةٍ لِمُؤَمِّلٍ رَاجٍ ولاحٍ نَاهِ

٢٦ ـ شِمْنَا نَدَى يُمْناهُ فانبَجَسَتْ لنَا بمَوَاهبٍ لَمْ تَنفجرْ بمِيَاهِ

٢٧ ـ لَمَّا طَلَبْتُ[٥] العَذْبَ مِنْها أَصبَحَت قُلُبِى بها مَمْلُوءَةً وِرِدَاهى

٢٧ ـ يعنى « بالرِّدَاه » : جمع رَدْهة ، وهى نُقْرة فى صخرَة أو جبل يجتمع فيها ماء السماء .

---

(١) فى أصول التبريزى « من بغضهم » والشرح يدل على أنها للخطاب ، ورواية الصولى والعالى تؤيدان ذلك .

(٢) س : « للمقيم العهد » .

(٣) س : « قدماً » .

(٤) « الحبر » : صفرة تشوب بياض الأسنان .

(٥) س : « طلبنا » .

٢٨ - لَوْلا تَنَاهى كُلِّ مَخْلُوقٍ لقَدْ خِلْنا نَوَالك لَيْسَ بالمُتَنَاهى

٢٩ - ما زِلْتَ تُمْطِرُ ديمَةً معَ وَابلٍ[1] حتَّى كأَنَّك لِلسَّحابِ مُنَاهى

٣٠ - ولقَدْ وُعِدْتُ مَوَاعِدًا[2] فنبَذْتُها خَلْفى ووَعْدُك ما يَزَالُ تِجَاهى

٣١ - سَهْمُ ابنُ أَوْسٍ فى ضَمَانِك عالِمٌ أَنْ لَسْتَ بالنَّاسى ولا بالسَّاهى

٣١ - « سَهْم بن أَوس » : أَخو أَبى تمّام ، يقول : قد وثق أَخى ومَن ورائى ممَّن تَضمَّنَتْه عِنايتى ، بأَنك لا تسهو عمّا تضمَنُ وتَعِدُ .

٣٢ - أَجزلْ لَهُ الحَظَّيْن مِنْكَ وكُنْ لهُ رُكْناً على الأَيامِ ليسَ بوَاهِ

٣٣ - بولايَتَيْن ولايَةٍ مَذْكُورَةٍ مَشْهُورَةٍ وولايَةٍ بالجَـاهِ

٣٣ - ويُروى : « من كُورَةٍ »[3] يقول . أَجزلْ حظَّى سهم بولايتين تُوليهما إيّاه ، فإحدى الولايتين ولاية كُورةٍ تُوليه إيّاها ، وولاية أُخرى بإيجاهك إيَّاه ، أَى تجعله وجيهاً عندك ، ليجلَّ فى عُيون الناس ، ومَن كان يستصغر قدرَه .

٣٤ - هُوَ فى الغنَى غَرْسِى وغَرْسُكَ فى العُلَى
أَنَّى انصرفْتَ وأَنتَ غَرْسُ اللهِ

٣٤ - أَى أَنا غرستُه فى الغنَى ، لأَنى وصلتُه بك .

---

(١) س : « وابلا لا ديمة » .
(٢) س : « مواهباً » .
(٣) هى رواية الصولى فى م .